الانزياح و التكرار في ملحمة الحسين عليه السلام لـ(ريمون قسيس)

دراسة أسلوبية

■ أ.م.د. علي أصغر ياري(*)
■ علي محمد رضايي(**)

التمهيد

لقد شغل الأسلوب و الدراسات الأسلوبية في عصرنا الراهن حيزا كبيرا من الدراسات النقدية خاصة في مجال الشعر. ورد تحت كلمة «الأسلوب» تعاريف عديدة حيث أصبح من الصعب تحديدها، نشير إلى أهمها فيما يأتي:

قال بير جيرو في كتابه «أسلوبية»: الأسلوب ـ من كلمة Stilus، أي مثقب يستخدم في الكتابة ـ هو طريقة في الكتابة وهو استخدام الكاتب لأدوات تعبيرية من أجل غايات أدبية ويتميز في النتيجة من القواعد التي تحدّد معنى الأشكال وصوابها[1].

(*)جامعة الشهيد باهنر، كرمان، إيران – كلية الآداب والعلوم الإنسانية، طالب الدكتوراه في قسم اللغة العربية وآدابها.
(**) جامعة الإمام الرضا الدولية، مشهد، إيران.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكذلك قال محمد عبدالله جبر: «علم الأسلوب فرع من فروع الدرس اللغوي الحديث يهتم ببيان الخصائص التي تميّز كتابات أديب ما، أو تميّز نوعًا من الأنواع الأدبية بما يشيع في هذه أو تلك من صيغ صرفية مخصوصة، أو أنواع معينة من الجمل والتراكيب، أو مفردات يؤثرها صاحب النص الأدبي»[٢].

ما توصّل إليه الدكتور صلاح فضل في كتابه علم الأسلوب من خلال التعاريف العديدة أن الأسلوب هو اختيار الكاتب أو الشاعر لتركيبات خاصة او جمل معينة او مفردات دون سواها مما يكشف عن مزاجه ورؤيته وأسلوب تفكيره[٣].

يُبنَى هذا المقال على المنهج الوصفيّ التحليليّ لتقديم معالم ظاهرتي الانزياح والتكرار في ملحمة الحسين عليه السلام ودورهما في إغنائها.

أهمية التحليل الأسلوبي من جانب وأهمية تحليل ملحمة الحسين عليه السلام للشاعر المسيحي «ريمون قسّيس» حثّنا على دراسة الظواهر الأسلوبية في هذه القصيدة.

هناك ظواهر أسلوبية عديدة عُني بها الباحثون في دراساتهم الأسلوبية ويهدف هذا البحث إلى دراسة ظاهرة التكرار لما له من شأن في التأكيد، سواء يكون في اللفظ أو الحروف أو التكرار في المعاني المقصودة من قبل الأديب الـمُبدع. كما أنّ ظاهرة الحذف من الظواهر التي تتجلى في كثير من المواقف اللغوية، وهذه الظاهرة تنطوي تحت ما يسمى بالانزياح التركيبي. تقديم ما يجب تأخيره في الكلام نحو: تقديم الخبر على المبتدأ أو تقديم المفعول على الفعل والفاعل توضَع أيضا تحت الانزياح التركيبي. ويوجد هناك انزياح آخر إلى جانب هذا الانزياح هو الانزياح التصويري الذي تنطوي تحته الاستعارة والكناية والتشبيه وتلك من أحسن الصور البيانية التي يستخدمها الشاعر. ولكن في هذه الدراسة ركّزنا على الاستعارة فقط لأن دراسة الكناية والتشبيه تتطلّب بحثًا سويّاً.

بما أن هذا المقال يسلّط الضوء على الظواهر الأسلوبية والكشف عنها في ظاهرتي التكرار والانزياح فلهذا نحاول أن نجيب عن سؤالين أساسيين:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١. ما هي أهم ميزات التكرار المستخدَم في ملحمة الحسين عليه السلام ؟

٢. ما هي ميزات الانزياح وأشكاله في هذه القصيدة؟

رأينا في سوابق البحث رسالة الماجستير لـ«أقدس بهزادي بور» المعنونة بـ«النبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام في مرآة أدب المسيحيين المعاصرين» تتطرق الباحثة من خلالها إلى ملحمة الحسين عليه السلام ودراستها لريمون قسيس من دون أية إشارة إلى الجوانب الأسلوبية. أما مقالنا هذا فيسلّط الضوء على الظواهر الأسلوبية لهذه القصيدة وتحديدًا ظاهرتي الانزياح والتكرار.

ريمون قسّيس في سطور:

ريمون قسّيس هو شاعر لبناني من مواليد زحلة. تلقّى علومه في الكلية الشرقية وأتمّ دراساته الثانوية فيها. ثمّ دخل جامعة "القديس يوسف" وحصل على شهادة الدكتوراه. كان مولعًا بالشعر منذ نعومة أظفاره وأصبح من أشهر الشعراء في لبنان وهو لم ينه العقد الثاني من عمره. لقسيس أشعار شتى بالعربية والفرنسية تتضمّن الموضوعات التاريخية والاجتماعية وكثيرًا من الغزل[٤] طُبع شعره بالطابع الرمزي الرومنسي. له أمسيات ولقاءات ومهرجانات شعرية شارك فيها، كما له مقابلاتٌ وحلقات إذاعية وندوات ومؤتمرات عبر «حركة الحوار والثقافة في لبنان» ومؤسسها ورئيسها د. مصطفى دندشلي. له مؤلفات عديدة منها: عليّ عليه السلام الفارس الفقيه، الحكيم في الشعر (١٩٩١م)، قصائد أولى باللغة الفرنسية (١٩٩٧م)، أوراق شاعر في النثر (٢٠٠٤م)، منائر (الشعر) (٢٠٠٥م)، ملحمة الحسين عليه السلام (الشعر) (٢٠١٠م) (قسّيس، ٢٠١١م: ٤٥).

عرض الموضوع:

٣- ١- الانزياح:

للانزياح معنيان: الأول لغوي والثاني اصطلاحي، بالنسبة إلى المعنى اللغوي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كتب ابن منظور معرّفًا الانزياح: «نزح الشيء ينزح منع وضرب نَزْحاً ونُزوحاً بَعُدَ وشيءٌ نُزُحٌ ونَزُوحٌ نازح ونَزَحت الدارُ فهي تَنْزِحُ نُزُوحاً إذا بَعُدَتْ وجاءَ من بلدٍ نَزيحٍ أَي بعيدٍ»(٥).

أمّا بالنسبة إلى المعنى الاصطلاحي فيشرح عبدالسلام المسدّي في كتابه الأسلوبية والأسلوب: «مصطلح (Ecart) عسير الترجمة لأنه غير مستقرّ في متصوّره لذلك لم يرض به كثير من روّاد اللسانيات والأسلوبية فوضعوا مصطلحات بديلة عنه. قد يمكن أن نصطلح عليه بعبارة التجاوز، أو أن نُحييَ له لفظةً عربيةً استعملها البلاغيون في سياق محدّد وهي عبارة "العُدُول": وعن طريقة التوليد المعنويّ قد نصطلح بها على مفهوم العبارة الأجنبية»(٦).

وقد أكسب مفهوم الانزياح الأسلوبية ثراء في التحليل إذ تتعامل المقاييسُ الاختياريَّة والتّوزيعيّة على مبدئه فتتكاثف السّمات الأسلوبية، وفي ضوئه يمكن إعادة وصفِ كثيرٍ من التحليلات البلاغية العربية»(٧).

٣ – ٢ – الانزياح الدلالي (التصويري):

تقيم البلاغة والأسلوبية، منذ زمن، علاقات وطيدة تتقلّصُ الأسلوبية أحيانًا حتى لا تعدو أن تكون جزءًا من نموذج التواصل البلاغي»(٨). الانزياح الدلالي أو الانزياح الذي يرتبط بالبلاغة عادةً ما يحوكه الكاتب من خلال كسر القاعدة المتعارف عليها والمألوفة إلى ما هو غريب ومدهش وبعيد عن المعهود والمتداول وذلك عبر لصق الأشياء بصفات ليست لها في واقع الحال كما يقوم المبدع بكسر ما تألفه الأذن واعتادت على سماعه فيشكل بذلك خرقًا لأفق التوقع وهذا هو غرض الانزياح الدلالي.

٣ – ٢ – ١ – الاستعارة: يتم التّركيز على دراسة الاستعارة في هذا القسم فهي «في اصطلاح البيانيين: استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي»[٩].

نلحظ في هذا المجال أن الشاعر يقوم بتوظيف صفات غير معهودة إلى الإمام الحسين عليه السلام . فبعد بحثنا في هذا المضمار سيتبيّن لنا كيف أن الشاعر قد أحاط الإمام الحسين عليه السلام بهالة من الصفات الـمُضيئة العائدة لأشياء راكنة في الطبيعة. ونسوق مثالًا على ذلك هو التالي:

قمرٌ في التّراب وهو دفينٌ

قد دحرتَ الزّمانَ يُدجي ويُغْسي

ما له في العطاء روضٌ مثيلٌ كُلُّ روضٍ يهفو إليه ويَبسِ

وسماءً بكتْ، فيحيَ بكتْه و«حسين» بكتهُ في قَطعِ رأسِ[١٠] .

من أهم خصائص الاستعارة تجسيد المعنويات، وتشخيص المجردات، وخلع الحياة على ما لا حياة فيه، ومنها المبالغة في تأكيد المعنى وتفخيمه، وحسن البيان وتحريك المشاعر وتنبيه العقول ونلاحظ معالم هذه الخصائص في الاستعارات الموظّفة من قبل الشاعر[١١]. نشاهد من خلال هذه الأبيات أن التشخيص هو العنصر الأبرز في تشكيل صوره الاستعارية، خاصة فيما يتعلق بوصف الإمام الحسين عليه السلام و هذه الأبيات الشعرية ترتكز بشكل صارخ على صفات جمالية وخارقة للعادة كمثل ضياء الشمس، ونور القمر والنجوم وذلك بغية إكمال مشهدية واضحة أراد الشاعر أن يوصلها لقُرّائه ألا وهي أنّ ثورة الإمام الحسين عليه السلام ليست محدودة بزمانها ومكانها بل تخطّت أجيال لتُكوِّن مدرسة للإنسانية.

٣- ٢- ٢- التشبيه:

جدير بالذكر أن الشاعر استخدم التشبيهات الحسّية وكذلك قريبة من الذهن لنيل مقصوده وهو الصورة التي يريد رسمها لثورة كربلاء.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التشبيه هو أبرز أنواع التصوير اطرادًا في كلام البشر عامّة، المسموع والمقروء على حدّ السواء وما هذا بغريب. ولم يحرم التشبيه منثور ولا منظوم من الكلام فلا تكاد تخلو منه فقرة من الفقرات لا قطعة من الأبيات[١٢].

في هذه القصيدة نلحظ التشبيه خاصة التشبيه البليغ، وهو الذي حُذف منه أداة التشبيه ووجه الشبه، فلم يبق منه سوى المشبّه والمشبّه به فهذا أقوى أنواع التشبيه وأبلغها[١٣] نذكر النماذج الآتية:

أنت نوري المضيءُ يُضحي ويُمسي

هو روضي الأريضُ نفّاحُ عِطرٍ فيه ينمو زكيُّ نَبتٍ وغَرسِ

هو نورٌ بدا يضيءُ كشَمْسِ

و«حسينٌ» أبوالأئمة يمشي في الورى فرْقدًا بلا أيِّ طَمْسِ

هو نورٌ وحجةٌ واقتدارٌ[١٤].

اللافت للنظر فيما سبق من التشبيهات أن الشّاعر شبّه الإمام الحسين عليه السلام بالنّور وخاصية النّور الهداية. وقد جاء التشبيه وأفاد المبالغة التي هي من أعظم مقاصده، ولهذا لا تكاد تجد تشبيهًا خاليًا عن هذا القصد، وكلّما كان الإغراق في التشبيه، والإبعاد فيه، كذلك صعب الوقوع والحصول، كان أدخل في البلاغة وأوقع فيها وتأتي على أثر هذه المبالغة تزيين المشبّه في الأبيات السابق ذكرها[١٥].

٣ – ٣- الانزياح التركيبي:

«ربّما تبادر إلى الذهن أن المتغيّرات النحوية تتركّز في الحذف ومخالفة الترتيب، ولكن هناك غيرهما من الأنماط النحوية ما يكون في استعماله سمة أسلوبية»[١٦] ولكن ما بصدده نحن في هذا المقال يبرز في هاتين الظاهرتين، يعني الحذف وتقديم ما يجب تأخيره.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣ – ٣- ١- الحذف: أول ظاهرة من ظاهرتي الانزياح التركيبي في هذه القصيدة هي الحذف وهو أن يتم حذف أحد أجزاء الجملة، سواء كان مبتدأً أو خبرًا، فاعلًا أو مفعولًا و... .

«وممّا اعتيد فيه أن يجيء خبرًا قد بُني على مبتدإٍ محذوف، قولُهم بعد أن يذكُروا الرجل: «فتى من/ صفته كذا»، و«أغرُّ من صفته كيت وكيت»[١٧] وقال أحمد درويش في سر جمال هذا اللون، «هو أنّنا حين نحذف المبتدأ من العبارة، إنما ندعي أن ذلك المبتدأ حي في ذهن المخاطب، ومعلوم، ولسنا بحاجة إلى أن نورده مرة أخرى وإنّما يكفي أن ننطق بالصفة التي نريد إسنادها له على جهة الخبرية، حيث نجدها تتجه إليه وتلتصق به»[١٨] وتجيء الأبيات الآتية لريمون قسّيس على هذا النمط:

قمرٌ في التّراب وهو دفينٌ / أشرفُ السّبطِ طيّبٌ وزكيٌّ / جرأةٌ في شجاعةٍ، جُودُ كفٍّ / خَيرُ أهلِ الأرض التي أنجَبَتْهم / هيبةٌ قُل، حِلمٌ وعِلمٌ جَليٌّ / نَجدةٌ للّرسولِ ليست تُضاهي[١٩].

نرى في الأبيات السابقة الذّكر حذف الشّاعر المبتدأ من أول كل الأبيات بقرينة حضورها في ذهن المخاطب وللغرض الذي أشرنا إليه.

٣ – ٣ – ٢- التقديم والتأخير:

قال الجرجاني في التقديم والتأخير: «هو بابٌ كثير الفوائد، جَمُّ المحاسن، واسع التصرُّف، بعيدُ الغاية، لا يزال يَفتَرُّ لك عن بديعة، ويُفضِي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شِعرًا يروقك مسمعُه، ويَلطُف لديك موقعُه، ثم تنظر فتجد سببَ أن راقك ولطُف عندك، أن قُدِّم فيه شيء، وحُوِّل اللّفظ عن مكانٍ إلى مكان[٢٠].

لعل تقديم ما يجب تأخيره في هذه القصيدة هو الأكثر بروزًا في أبياتها الشعرية بما يُظهر تسلسل الاهتمام الفكري لدى الشاعر وتقديمه لحالة معيّنة على ما عداها. فضلا عن ما تُغنيه من الأبعاد اللغوية والجمالية وحتى الإيقاعية. وكذلك قال «محمد

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عبدالمطلب» في كتابه البلاغة والأسلوبية: أما مباحث التقديم والتأخير فتُمثل ـفي علم المعاني ـ أهمية خاصة، من خلال التركيب الذي يخضع بالضرورة لطابع اللغة ونمطها المألوف في ترتيب أجزاء الجملة، من حيث كان العدول عن هذا النمط بمثابة منبهات فنية يعمد إليها المبدِع ليخلق صورة فنية متميزة[٢١].

ولقد عشتَ للرّماح العوالي في سبيل الإله يفدى بنفسِ ص٢٤

يا مؤاخي رسالة العرب طرًّا بك تحمى من ظلم كيدٍ وحلسِ ص٢٥

هو مني ـ قد قالها ـ أنه منه وحسينا سمّوه من غير لبسِ ص٢٥

هو روضي الأريض نفّاح عطر فيه ينمو زكيّ نبت وغرس ص٢٥

وسماءٍ بكت فيحيى بكته وحسينٌ بكته في قطع رأسِ ص٢٨

في رثاء الحسين دعبلٌ أبكى كل حاجٍ وكل راكبِ عنسِ ص٣٠

وبسخط يزيد يُرغي انتقامًا ولأمرٍ فيه بدايةُ حِلْسِ ص٣٤

لقد ذكر النحويّون والبلاغيّون أسباباً عديدة للتقديم منها: التخصيص والاهتمام وتقوية الحكم والتأكيد و...[٢٢] ومن هذه الأسباب نشاهد في الأبيات السابق ذكرها مثالاً لإظهار إرادة الشاعر في تسليط الأضواء على ما قدّمه. فالتقديم في هذه الأبيات قد يكون في تقديم الجاروالمجرور على عامله، وقد يكون في تقديم المفعول به على الفعل والفاعل، سواء كان الغرض تخصيص المقدَّم أو الاهتمام به، فضلًا عن الجمالية والإيقاع الذي خلقه الشاعر بأسلوبه هذا. وهذا الأمر من براعة الشاعر المبدع التي تميّزه من الشاعر المبتدئ.

٤ - تكرار:

تقول نازك الملائكة: «جاءتنا الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية بتطور ملحوظ في أساليب التعبير الشعري، وكان التكرار من هذه الأساليب فبرز بروزًا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يلفت النظر، وراح شعرنا المعاصر يتكئ إليها اتكاءً يبلغ أحيانًا حدودًا متطرفة لا تنم عن اتزان»(٢٣).

دراسة ظاهرة التكرار في هذه القصيدة تشتمل على ثلاثة مستويات بما فيها التكرار الصوتي، والتكرار اللفظي، وأخيرًا تكرار المعنى.

٤ – ١ – التكرار الصوتي (تكرار الأصوات)

هو من أنواع التكرار المنتشرة والشائعة في الشعر والنثر ويتجسّد «عبر تكرار حرف يهيمن صوتيا في بنية المقطع أو القصيدة»(٢٤).

لقد تكرّرت بعض الأصوات في قصيدة «ريمون قسّيس» بشكل منظّم أو ما يسمّيه النقاد المعاصرون «harmonic» ممّا أدّى إلى انسجام بالنغم والصوت والإيقاع فتلذّذُ الأذن بسماعها حتى من دون أن تفهم المعنى، وينتشر هذا الأسلوب الإبداعي في كثير من أبيات الملحمة، نُجملها كالتالي:

يا حسين الفداء تفديك نفسي/ وعليٌ ونهجه متسامٍ متغاوٍ بمجدِ قولٍ وتُرسِ/ يا لرامٍ رماه رمية نحس / ما دروا أنّك الحقيقة تبقى قد دحرت الزمان يدجي ويُغسي / هوَ منّي ـ قد قالها ـ أنا منه و«حسينًا» سمّوه من غير لُبس/ هو هديٌ من الإله تبدّى لحفيدٍ فوادُه في تقسّى/ لو على كرهٍ جاءها، هي دنيا لم تسَعْهُ، ولم تُبالِ بِضرسِ/ وأنا منهم بغيتي حرفُ «سين» في متين وحبكِ شِعْرٍ ومَرْسِ/ جدّه قالها ويا رُبَّ قولٍ قِيل فيه جمالُ جهرٍ وهَمسِ/ جُرأةٌ في شجاعةٍ، جُودُ كفٍّ لا يُجارى، ونَبْعُ فَهْمٍ ونَدسِ/ وإذا مِ اللئام جَحفلُ جيشٍ وإذا «جوشَنٌ» يَجيش بِنَجْسِ/ وإذا «خولي» ذاك قد حزَّ رأسًا في مسا جمعة فيا قَسْوَ حَرْسِ / «زينبٌ» أنتِ أختُه خيرُ أختٍ لطّمت وجْهَها وصاحَتْ: لَتَعسي/ سُمِعَت عِبسٌ وَهْيَ تبكي عليه وَبُكىً دامٍ بين عَنْسٍ وعَبْسِ/

ونرى هنا عبر هذه الأبيات أن الشاعر لايركّز على «ما يقول» فقط، إنّما يركّز

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

على «كيف يقول». وفي بعض هذه الأبيات مثل «وإذا مِ اللئام جَحفلُ جيشٍ وإذا «جوشَنٌ» يَجيش بِنَجْسِ» يتّضح هذا الأمر أكثر فأكثر؛ لأنّ ترتيب هذه الأحرف على هذه الصورة لم يأت مصادفة كما هو واضح، إذ إن الصنعة بادية ظاهرة. وما كان ذلك إلا لأن الشاعر يطلب التأثير الجمالي ويتوخّاه عبر إنتاجه للبيت.

٤ – ٢ – التكرار اللفظي:

يعدّ التكرار اللّفظي نمطًا من الأنماط التي اعتمدها الشعراء ولم ينسَه شاعر مبدع مثل ريمون قسّيس: «وهو تكرار كلمة تستغرق المقطع أو القصيدة»(٢٥). ينضوي تحت هذا القسم من البحث بُعدان من التكرار بما فيها من تكرار المفردات، وتكرار الصفات المتتالية، اللذان يقعان في بيت واحد أو مقطع من القصيدة.

٤-٢-١- تكرار المفردات: هذا النوع من التكرار يوجد في ملحمة الحسين عليه السلام بطريقتين: الأول منهما أن الشاعر يوظّف الكلمة المكرَّرة نفسها، والثاني استخدام الصفات المتتالية في عبارة واحدة وسنتطرق على كل واحد منهما كما يأتي:

هـوَ منّـي ـ قـد قالهـا ـ أنـا منـه و«حسـينًا» سـمّوه مـن غـير لُـبس
هـو سـبطٌ مطهَّـرٌ كعـليٍّ هاشـميٌّ وأمـرُه لا لـرجسِ
هـو روضي الأريـض نفّـاحُ عِطـرٍ فيـه ينمـو زكـيٌّ نبـتٍ وغـرسِ(٢٦)

هذه الأبيات الثلاثة المتتالية بهذا الشكل المقدَّم رسمتْ بدايةً رنّة محبَّبة على أذن سامعها فضلًا عن تجسيدها لرغبة الشاعر الجامحة في التركيز على شخص الإمام الحسين عليه السلام بوصفها قيمة قائمة بذاتها. وذلك من خلال ضمير «هو» الذي يتكرر في كل الأبيات الثلاثة وما يعود هذا الضمير إلى الإمام الحسين عليه السلام «والقاعدة الأولية في التكرار، أن اللفظ المكرر ينبغي أن يكون وثيق الارتباط بالمعنى العام، وإلا كان لفظية متكلفة لا سبيل إلى قبولها. كما أنه لابد من أن يخضع لكل ما يخضع له الشعر عمومًا من قواعد ذوقية وجمالية وبيانية. فليس من المقبول مثلًا، أن يكرر الشاعر لفظاً

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ضعيف الارتباط بما حوله، أو لفظًا ينفر منه السمع»[٢٧].

وهكذا قال الشاعر في الأحرف التي كوّنت اسم «الحسين»:

هــيَ «حــاءٌ» حيــاةُ جيْــلٍ لجيْــلِ وهْي «سـينٌ» و«السـينُ» ثالـثُ «نَفْـسِ»
هـي «يـاءٌ» و«اليـاءُ» «يحيـى» احتواهـا مــرّتينِ اثنتــين مــن خَــيرِ جِــرْسِ
هــي «نــونٌ» وسُــورةٌ ذكــرُ «نــون» ذِكْرُ ربٍّ لصاحبِ الحُوتِ يُمســي[٢٨]

«ولعل أبسط ألوان التكرار، تكرار كلمة واحدة في أول كل بيت من مجموعة أبيات متتالية في قصيدة، وهو لون شائع في شعرنا المعاصر، ولا ترتفع نماذج هذا اللون من التكرار إلى مرتبة الأصالة والجمال إلا على يدي شاعر موهوب يدرك أن المعول في مثله، لا على التكرار نفسه، وإنما على ما بعد الكلمة المكررة»[٢٩].

ومن المؤكد أن قسّيساً يلحظ في تكرار هذه الكلمات في أول بعض الأبيات أن يثير الحماسة في صدور القرّاء وخاصة أن هذه الملحمة تتعلّق بشخصية تُعرف بين الناس في أنحاء العالم بالشجاعة والتضحية ويشبه الشاعر في تكراره لهذه الكلمات شيئاً رئيساً عند إلقائه للخطاب مكرّرًا بعض الكلمات، وفي المقابل ردّة الجمهور بالتصفيق والتهليل.

٤ – ٢ – ٢ – تكرار الصفات المتتالية: يقول عدنان حسين قاسم في التكرار: «إنّه بتشكيلاته المختلفة ثمرة من ثمرات قانون الاختيار والتأليف، ومن حيث توزيع الكلمات وترتيبها بحيث تقيم تلك الأنساق المتكررة علاقات مع عناصر النص الأخرى»[٣٠].

بناءً على هذا الاختيار والتأليف حرص الشاعر «قسّيس» أثناء تدوينه للمدح الحسيني على رسم لوحة جماليّة تتجسّد عبر ظاهرة الانسياب في النّعوت ذات الرّنة اللفظية المتقاربة. وما كان على هذه اللوحة إلا إظهار تفخيم الشاعر لمرتبة الإمام الحسين عليه السلام في نغم موسيقيّ جميل:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هو سبطٌ مطهَّرٌ كعليٍّ، هاشميٌّ أمرُه، لا لرجسٍ / هو روضي الأريضُ نفّاحُ عِطرٍ، فيه ينمو زكيُّ نبتٍ وغَرسٍ / أشرفُ السِّبطِ طَيِّبٌ وزكيٌّ، بالغٌ أمري، لا يفارق حسّي / وشجاعٌ، شهمٌ، أبيٌّ، حبيبٌ، وسيأتي يومٌ يصاب بفَرسٍ / جئتُ أروي مسيرةً «لحسينٍ» أتملّاها نورَ وحيٍ وقبسٍ وسراجًا مزهوهرًا ووضيئًا ولئن كانت الجُسومُ لحَسٍّ / جرأةٌ في شجاعةٍ، جودُ كفٍّ لا يُجارى، ونبعُ فهمٍ ونَدْسٍ / فهْو قُل: في السّماءِ أكبرُ شأنًا، نورُ هَدْيٍ وطيبُ عَرْفٍ وأُنْسٍ / ضِدَّ مَنْ يَهدي، يَرتضي لإلهٍ، سمحَ كفٍّ، نُبلًا، شهامةَ مَرْسٍ / هيبَةٌ قل، حِلمٌ وعِلمٌ جليٌّ في مضاءٍ وفي شدائدَ حُمْسٍ / نَجْدَةٌ للرسولِ ليست تُضاهى، أريحيٌّ، نجيدُ جَريٍ وغَسٍّ / هو نورٌ وحُجَّةٌ واقتدارٌ، وشبيه الرّسولِ ليس بِخَنْسٍ / وشريفٌ، هَنيٌّ خُلْقٍ، صَبورٌ هو أقوى من شُرْبِ خمرٍ بِقَلْسِ[٣١].

حينما نرى هذه الصفات المتتالية نتذكّر ـــ من حيث الأسلوب ـــ هذا الشطر للشاعر الجاهلي أمرؤالقيس «مكرٌّ مفرٌّ مُقبلٌ مُدبرٌ معًا»[٣٢] حيث يصف فرسَه ولكن التشابه من حيث أسلوب الشاعرين في تكرار الصفات وتتابعها.

قمنا في هذا القسم بإحصاء الصفات الحسينية التي وردت في ملحمة الحسين عليه السلام لنرى نسبة تواتر كلّ واحدة من هذه الصفات. «السّمات اللغوية حين تحظى بنسبة عالية من التكرار، وحين ترتبط بسياقات معينة على نحو له دلالاته تصبح خواصاً أسلوبية تظهر في النصوص بنسبة وكثافة وتوزيعات مختلفة. وهذا يبرر أهمية القياس الكمي بوصفه معياراً موضوعيًا منضبطًا وقادرا على تشخيص النزعات السائدة في نص معين أو عند كاتب معيّن. ويطلق على هذا النوع من الدراسة مصطلح علم الأسلوب الإحصائي statistic stylistics[٣٣]. ومن معالم هذا التكرار في الملحمة يمكننا أن نشير إلى الصفات الخاصة بالإمام الحسين عليه السلام التي وظّفها الشاعر، وبذلك لا نقصد أن نعدّ للإمام صفات محدودة لأنّ في هذا ظلما كبيرا، إنّما نريد أن نشير إلى تلك الموظَّفة في القصيدة أوّلا وكيفية تكرارها ثانيًا لنتوصّل إلى النسبة المئوية لتلك الصّفات:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

جدول رقم ١ : إحصاء الصفات الحسينية

التضحية	يا حسين **الفداء**/ في سبيل الإله **يُفدى** بنفس/	مرتين (٩ بالمئة)
الشجاعة	ليس يُرضي الجهادَ إلّا **كميٌّ**/ وشجاعٌ، **شهمٌ**، أبيٌّ، حبيبٌ/ شهر السّيفَ **لا يهاب الأعادي**/ جُرأةٌ في **شجاعةٍ**/ وكميٌّ على الشكيمة باقٍ/ هو نورٌ وحجّةٌ **واقتدارٌ**/	٦ مرات (٢٧ بالمئة)
جود	ما له في **العَطاءِ** روضٌ مثيلٌ/ **جودُ** كفٍّ/ **سمحَ** كفٌّ، نُبْلًا/	٣ مرات (١٢ بالمئة)
نور	أنت **نوري** المضيء/ **قمرٌ** في التّراب/ هو **نورٌ** بدا يضيءُ كشَمْسِ/ **نورُ** هدىٍ وطِيبُ عَرْفٍ وأُنسِ/ في الورى **فرقدًا** بلا أيّ طَمْسِ/ أفهل يُطفي **نورَ** بدرٍ وشمسِ؟/ يا **هلالًا** لـمّا استتمَّ كمالًا/ هو **نورٌ** وحجّةٌ واقتدارٌ/	٨ مرات (٣٧ بالمئة)
طهارة	هو سبطٌ **مطهَّرٌ** كعليٍّ/	مرة واحدة (٥ بالمئة)
خلود	ما دَرَوْا أنّك **الحقيقة تبقى**/ هو (يوم عاشوراء) عرسُ الدّماءِ **أخلدُ** عرس/	مرتين (٩ بالمئة)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

«وعندما يتصور الأسلوب على أنه محصلة معدلات تكرار الوحدات اللغوية القابل للتحديد الشكلي في صياغة النص فإن هذه الوحدات يمكن بطبيعة الحال إحصاؤها وإخضاعها لعمليات رياضية دقيقة ويتجه كثير من الدراسات الأسلوبية إلى تحليل العلاقة بين المفردات ومعدلات تكرارها»[٣٤].

وبعد معالجة في الصفات الخاصة بالإمام الحسين عليه السلام في ملحمة ريمون قسيس يبدو أن صفة النّور تقع في المكان الأول بالنسبة إلى الصفات الأخرى والشجاعة هي ثانية الصفات توظيفًا في الملحمة، وهاتان الصفتان هما أكثر من الصفات الأخرى بعدة أضعاف.

٤ – ٣- **تكرار المعنى**: إذا دققّنا النظر في هذه القصيدة متأمّلين فنجد الشاعر يكرّر معنىً خاصًّا عدة مرات في ملحمته كما يشير إلى هذا الموضوع في مطلع القصيدة. وما هو إلّا تقارب الأديان الإبراهيمية الثلاثة. يقول الشاعر في هذا الموضوع:

قد دعا موسى والمسيحُ تجلّى وأتى أحمدٌ لرَبٍّ بِخَمْسِ[٣٥]

الشاعر هنا ذكر موسى كليم الله، ثم المسيح عليه السلام ثم أتى النبي محمد صلى الله عليه وآله وفرض الصلوات الخمسة وجمع الشاعر هذه الأديان الثلاثة أي الدين اليهودي والدين المسيحي والإسلام وكوّن مثلث الاتّحاد بين الأديان الإبراهيمية الثلاثة كما يبدو على الشكل الآتي:

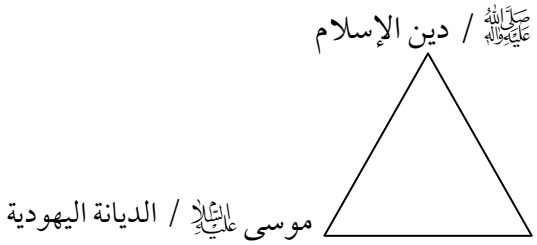

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأشار في موضع آخر إلى هذه الأديان الثلاثة من خلال الرموز ولا تكون الرموز إلا أشخاصاً من هذه الديانات الذين كانوا حاضرين في مأساة كربلاء، إليكم نموذج من هذه الوحدة:

يـا «لوَهْـبٍ» كـم في الجوامـعِ يُتلـى ... إسْـمُ «وَهْـبٍ» وفي محافـلِ كَـنْسِ
هـو قَـسٌّ مـن النصـارى شـهيدٌ ... وحسـينٌ غـدا فخـورًا بقَـسَّ
ذاك حَـبْرٌ مـن اليهـود تبـدَّى ... أُقتلـوني ولـو عُرِفْـتُ بِـنَطْسِ (٣٦)

أو في المقارنة بين شخصية إسلامية (الإمام الحسين) وشخصية مسيحية (يحيى)عليهما السلام:

وسـماءً بكَـتْ، «فيَحْـيَ» بكَتْـهُ ... و«حسَـينٌ» بكَتْـهُ في قَطْـعِ رَأْسِ (٣٧)

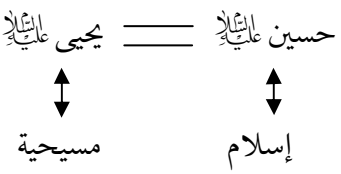

على سبيل الإيمان بالله ريمون قسّيس بوصفه مسيحياً يرى في يوحنّا المعمدان (يحيى) الذي عمّد المسيح وجاء مبشّرًا به وأصبحت النتيجة أنه قُطِعَ رأسُه في الدين المسيحي كما قُطِعَ رأس الإمام الحسين عليه السلام في الدين الإسلامي وهما رمزان؛ النّبي يحيى عليه السلام رمزٌ للديانة المسيحية والإمام الحسين عليه السلام رمزٌ للديانة الإسلامية وهذه الملحمة تُعدّ من أروع القصائد في العلاقات الأخوية وتمتين التواصل المسيحي الإسلامي.

أشار الشاعر كذلك إلى التشابه بين الإمام الحسين والنّبي يحيى عليهما السلام في موضع آخر:

هي «يـاءٌ» و«اليـاءُ» «يحيـى» احتواهـا ... مـرّتينِ اثنتـين مـن خَـيرِ جِـرْسِ (٣٨)

وهكذا لاحظنا أن الشاعر أورد مرات عدّة نماذجَ أومأ من خلالها إلى قضية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأخوّة بين الأديان الإبراهيمية، فلا نستغرب من شاعرٍ كـ«ريمون قسّيس» أن يكترث بتقريب الأديان الإبراهيمية إذ إنّه من المسيحيّين المثقّفين الذين يعتقدون أن هذه الأديان الثلاثة تأتي كلّ واحدٍ منها مكمّلًا ومؤيّدًا للآخرَين.

النتيجة:

بالنسبة إلى ظاهرة الانزياح الدلالي في القصيده نلحظ الشاعر موظّفًا الصفات الخاصة بالإمام الحسين عليه السلام وكذلك غير معهودة منها ولجأ الشاعر إلى توظيف الاستعارة والتشبيه لإغناء أثره الشّعري والتأثير في المتلقّي. التشخيص من خلال الاستعارات الموظّفة في القصيدة من جانبٍ وتشبيه الإمام الحسين عليه السلام بالشمس، ونور القمر والنجوم من جانب آخر، لهما دلالة على هداية الإمام الحسين عليه السلام للأجيال المختلفة عبر العصور.

أما بالنسبة إلى الانزياح التركيبي وتحديدًا ظاهرة الحذف فالشاعر بحذف المسند إليه من بعض الأبيات خاصة تلك الأبيات التي أنشدها في وصف الإمام الحسين عليه السلام أراد أن يستغني عن ذكره، لأنّه حي في ذهن المخاطب ولا داعي لذكره.

كما قدّم بعض أجزاء الجملة على البعض للدّلالة على الاهتمام بالمقدَّم أو قصره وهذا الاهتمام والقصر في كثير من الأحيان يرتبط بالإمام الحسين عليه السلام.

يكرّر الشاعر بعض الأحرف وبذلك يُضفي على القصيدة روعة وجمالًا وهذا إضافة إلى الجانب المعنوي للعبارات وخاصة أن تكرار النغمات الصوتية قد يكون بشكل منظم و «harmonic».

تكرار بعض الألفاظ والكلمات وخاصة تلك التي تكون في أول الأبيات يدلّ على الإثبات والتأكيد وهذا مايريد الشاعر أن يلقيه في ذهن المخاطب.

كرّر الشاعر الصفات الخاصة بالإمام الحسين عليه السلام في هذه الملحمة، ويبدو أنّ هناك صفتين أكثر من الصفات الأخرى من ناحية التوظيف، ألا وهما «النّور» و«الشجاعة».

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هناك بعض المعاني المقصودة والمركّزة عليها التي كرّرها الشاعر مرّات عدة عبر الرموز والعلامات في ملحمته، ومن خير ذلك «العلاقة والتواصل بين الأديان الإبراهيمية الثلاثة».

ملخص البحث

بحث هذا المقال عن الظواهر الأسلوبية في قصيدة «ملحمة الحسين» للشاعر المسيحي ريمون قسّيس. تتميّز هذه الملحمة بخصائص أسلوبية وتحديداً ظاهرتا الانزياح، والتكرار.

بالنسبة إلى الانزياح في هذه الملحمة فهو يشتمل على مستويين ألا وهما الانزياح الدلالي (التصويري) والانزياح التركيبي الذي يشتمل على الانزياح في الحذف، والانزياح في التقديم والتأخير.

استعمال استعارات غير معهودة وتشبيهات غير مألوفة للإمام الحسين عليه السلام من معالم الانزياح الدلالي وتقديم ما يجب تأخيره للدلالة على الاهتمام والقصر، وحذف المسند إليه في كثير من الأبيات لاستغناء عن ذكره، من خواص الانزياح التركيبي في هذه القصيدة.

أمّا بالنسبة إلى التكرار فهو ظاهرة لا يمكن الإغماض عنها في هذه القصيدة ومن أجل ذلك درسنا التكرار بكل أنواعه إذ توصّلنا إلى أنّه يشتمل على تكرار الأحرف الخاصّة بشكل منظّم في بعض الأبيات، أو تكرار بعض الكلمات والصفات الخاصة بالإمام الحسين عليه السلام حيث وصف الشاعر الإمام الحسين عليه السلام بصفات متتالية، أو تكرار المعاني التي تسيطر على هيكل القصيدة بشكل عام ومن ذلك الوحدة في الأديان الإبراهيمية الثلاثة التي يشير إليها الشاعر في بداية الملحمة.

الكلمات الرئيسة: ريمون قسّيس، ملحمة الحسين عليه السلام، الأسلوبية، الانزياح، التكرار.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

*** هوامش البحث ***

١. الأسلوبية. ترجمة: منذر عياشي: ١٧.
٢. الأسلوب والنحو: ٦.
٣. علم الأسلوب: ٩٧
٤. الإمام الحسين عليه السلام في الشعر المسيحي: ١٢٧.
٥. لسان العرب: ٦١٤.
٦. الأسلوبية والأسلوب: ١٦٢ و١٦٣.
٧. نفسه: ١٦٤.
٨. البلاغة والأسلوبية، ترجمة: د.محمد العمري: ١٩.
٩. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: ٢٥٨.
١٠. ملحمة الحسين عليه السلام: و٢٤ و٢٥ و٢٨.
١١. علم البيان دراسة تحليلية لمسائل البيان: ٢٣١ ـ ٢٣٣.
١٢. خصائص الأسلوب في الشوقيات: ١٤٢.
١٣. علم البيان بين النظريات والأصول: ١٥٥.
١٤. ملحمة الحسين عليه السلام: ٢٣ و٢٥ و٢٨ و٣٣ و٤٠.
١٥. البيان العربي دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية: ٢٦٣.
١٦. الأسلوب والنحو: ١٩.
١٧. دلائل الإعجاز: ١٤٩.
١٨. دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث: ١٧٢.
١٩. ملحمة الحسين عليه السلام: ٢٤ و٢٥ و٢٩ و٤٠.
٢٠. دلائل الإعجاز: ١٠٦.
٢١. البلاغة والأسلوبية: ٢٧١ و٢٧٢.
٢٢. دراسات في البلاغة العربية: ٧٢.
٢٣. قضايا الشعر المعاصر: ٢٧٠.
٢٤. حركية الإيقاع في الشعر العربي المعاصر: ٨٢.
٢٥. حركية الإيقاع في الشعر العربي المعاصر: ٨٢.
٢٦. ملحمة الحسين عليه السلام: ٢٥.
٢٧. قضايا الشعر المعاصر: ٢٣١.
٢٨. ملحمة الحسين عليه السلام: ٣٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢٩. قضايا الشعر المعاصر: ٢٣١.
٣٠. الاتجاه الأسلوبي البنيوي في نقد الشعر العربي: ٢١.
٣١. ملحمة الحسين عليه السلام: ٢٥ و٢٦ و٢٧ و٢٩ و٣٠ و٣٢ و٤٠ و٤٢.
٣٢. ديوان امرئ القيس: ١١٩.
٣٣. الأسلوب دراسة لغوية احصائية: ٣٤.
٣٤. علم الأسلوب مبادئه وإجرائه: ٢٦٦.
٣٥. ملحمة الحسين عليه السلام: ٢٣.
٣٦. المصدر نفسه: ٣٨.
٣٧. المصدر نفسه: ٢٨.
٣٨. المصدر نفسه: ٣٠.

*** المصادر والمراجع ***

١. ابن منظور. (١٩٩٧). لسان العرب. المجلد ١٠. الطبعة ٦. دار صادر. بيروت. لبنان.
٢. امرؤالقيس. (٢٠٠٤م). ديوان امرؤالقيس. الطبعة الخامسة. لبنان. بيروت: دار الكتب العلمية.
٣. بليت، هنريش. (١٩٩٩م). البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص. ترجمة: د.محمد العمري. لبنان، بيروت: أفريقيا الشرق.
٤. جبر، محمد عبدالله. (١٩٨٨م). الأسلوب والنحو دراسة تطبيقية في علاقة الخصائص الأسلوبية ببعض الظاهرات النحوية. الطبعة الأولى. الاسكندرية: دارالدعوة.
٥. الجرجاني، عبد القادر. (د.ت). دلائل الإعجاز. تعليق: محمود محمّد شاكر.القاهرة: مكتبة الخانجي.
٦. جيرو، بير. (١٩٩٤م). الأسلوبية. ترجمة: منذر عياشي. الطبعة الثانية. سوريا. حلب: دار الحاسوب للطباعة.
٧. الغرفي، حسن. (٢٠٠٠م). حركية الإيقاع في الشعر العربي المعاصر، ط١، بيروت: الشركة العالمية للكتاب.
٨. درويش، أحمد. (د.ت). دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث. القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر.
٩. سقال، ديزيره. (١٩٩٧م). علم البيان بين النظريات والأصول. الطبعة الأولى. بيروت: دار الفكر العربي.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٠. فضل، صلاح. (١٩٩٨م). علم الأسلوب مبادئه وإجرائه. الطبعة الأولى. القاهرة: دار الشروق.
١١. قسّيس،ريمون. (٢٠١١م). ملحمة الحسين عليه السلام. بيروت: دار المحجة البيضاء.
١٢. زميزم، سعيد. (٢٠١٢م). الإمام الحسين عليه السلام في الشعر المسيحي. الطبعة الأولى. بيروت: دارالجوادين.
١٣. طبانة، بدوي. (١٩٥٨م). البيان العربي دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية. الطبعة الثانية. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
١٤. الطرابلسي، محمد الهادي. (١٩٨١م). خصائص الأسلوب في الشوقيات. تونس: منشورات الجامعة التونسية.
١٥. عبد المطلب، محمد. (١٩٩٤م). البلاغة والأسلوبية. الطبعة الأولى. لبنان. بيروت: مكتبة لبنان ناشرون.
١٦. علّام، عبدالعاطي غريب. (١٩٩٧م). دراسات في البلاغة العربية. الطبعة الأولى. بنغازي: جامعة قاريونس.
١٧. فضل، صلاح. (١٩٩٨م). علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته. القاهرة: دار الشروق.
١٨. فيّود، بسيوني عبدالفتّاح. (١٩٩٨م). علم البيان دراسة تحليلية لمسائل البيان. ط ٢، القاهرة: مؤسسة المختار.
١٩. قاسم، عدنان حسين. (٢٠٠٠م). الاتجاه الأسلوبي البنيوي في نقد الشعر العربي، الدار العربية للنشر والتوزيع.
٢٠. المسدّي، عبدالسلام. (١٩٨٢م). الأسلوبية والأسلوب. الطبعة الثالثة. الدار العربية للكتاب.
٢١. مصلوح، سعد. (١٩٩٢م). الأسلوب دراسة لغوية احصائية. الطبعة الثالثة. القاهرة: عالم الكتب.
٢٢. نازك الملائكة. (١٩٦٧م). قضايا الشعر المعاصر. ط ٤، بيروت، لبنان: دار العلم للملايين.
٢٣. الهاشمي، السيّد أحمد. (د.ت). جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع. بيروت: المكتبة العصرية.

❋❋❋

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

Displacement and repetition

in Al-Hussein issue for Remon Qases

Assist .Pro. Dr: Ali A. Yary

Researcher : Ali M. Rethaee

Al- Reza international University Iran Islamic Republic

It is take attention stylistics and stylistics studing in our day take big size in poem and stylistics has many meaning that have difficult to know it and the important thing is:

Per Jero say in his book stylistics take form stylist it use in write and the writer use some material for it that show the design and the correct it. Mohammed A. Jaber say: the science of stylistics is a brunch of language show the properties that show the writers and some kind of literary or some kind if sentence or assembling that make effect on assembling text .

That Dr Salah Fadil reach that the stylistics studying have many meaning to chose the writer or poet, special sentence that show his know and his thought . That built article to show Displacement and repetition in Al-Hussein issue.

The important and another side the important in Al-Hussein issue for poet Christian Remon Qases make us study stylistics studying in this poem. There is many phenomenon stylistics studying that the researcher take it in there to stylistics studying and there repetition in letter or word for the writer and the delete in many places that what we called Displacement it provide in language like make object before subject it show repetition and show another repetition it make under borrowing , likening that poet use it but in this research we use borrowing. So this article show stylistics studying to show Displacement and repetition there are two question :

What is the benefits of repeation that use in Al-Hussein issue ?

What is the benefits of Displacement and his ways in this poem?

We see I this research a master massege for (Aqdes B. Poor) it called (prophet Mohammed and his relatives) talk about Al-Hussein issue and analysis it by Remon Qases with out any sign but in our article about Displacement and repetition.

***

www.manaraa.com